

**الغزل العذري في العصر الأموي بين العفة والرغبة**

حلقة بحث لمادة: اللغة العربية

تقديم الطالب: عماد أخرس

إشراف المدرس: تغريد مشعل

للعام الدراسي 2015-2016م

تاريخ: 22 -10-2015م

# المقدمة:

يدخل هذا البحث تحت فرع النقد التطبيقي وهو من الفروع المهمة في مجال الدراسات الأدبية والنقدية أو أنه همزة الوصل بين مجال الإبداع والنقد ومن أهم خصائص هذا الفرع أنه يتعامل مع النصوص تعاملاً مباشراً يحاول الكشف عن خصائصها الكامنة ويميزها عن غيرها من النصوص ويضع الإبداع الأدبي في موضعه الصحيح من تاريخ الأدب وميزة أخرى فيه أنه يخلص الدراسة من كل الفروع المتداخلة معها: من تاريخ وجغرافية وبعض العلوم الإنسانية الأخرى التي تتصل اتصالاً مباشراً أو غير مباشر بالدراسات الأدبية ومن هذا المنظور فإن مجال النقد التطبيقي يعد من المراحل الأخيرة في الدراسات الأدبية والنقدية فهو لا يعنى بنقد نسبة النصوص أو تداخلها وغير ذلك من المشكلات المعقدة المتصلة بالعصر وبشخصية المبدع نفسه.

إن هذه المراحل تعد سابقة عليه يأتي هو فيجدها ممهدة له مستقرة ومن ثم يبدأ عمله قد يستخدم التاريخ وعلم النفس لكنه لا يستخدمه إلا في نطاق ضيق وفيما يفيد خصائص إبداعية معينة.

ومن هنا اهتم البحث بالشعر العذري وتعامل معه تعاملاً مباشراً ووجد الباحث أن كثيراً من الدراسات السابقة عليه قد ركزت جهودها في مجال القصص العذري وفي الحديث عن الشعراء العذريين ومحبوباتهم وأهملت أو تكاد هذا الشعر الذي أبدعوه بالرغم من أن بروز هؤلاء العشاق لم يكن عن طريق قصص حبهم وإنما كان تجسيد هذه القصص في شعر هو الذي أعطاهم هذا الطابع المميز في تاريخ الأدب.

إذاً الشعر هو الأصل وليست القصة والعناية بالشعر هي من صميم الدراسة الأدبية أما القصة فهي ضرب من الأدب الشعري أو أنها عوامل مساعدة تبرز المقطوعة أو القصيدة وتفسر غوامضها مع تحفظاتنا الكثيرة على هذا النوع من القصص الذي يتسم بنوع من المغالاة والبعد عن المنطق.

هل كان هذا النوع من الشعر حقيقياً أم كان مجرد كلام رواة وأقاويل متداولة عبر العصور؟

# **معنى الغزل:**

تشتمل مادة (غَزلَ) في اللغة على معانٍ ثلاث:

* من غزل الصوف، يغزله من باب (ضرب يضرِب): مده وفتله خيطاناً، ومنه (المِغزل) على وزن (مِفْعل) بكسر الميم وتسكين الفاء وفتح العين وعند تميم بضم الميم، وهو اسم آلة. [[1]](#footnote-1)
* من أغزلَت الظبية: صار لها غزال، فالغزال ولد الظبية.
* من غزِلَ (بفتح الغين وكسر الزاي) بالمرأة: يغزل (بفتح الزاي): حدثها وأفاض بذكرها.

هذه معان ثلاث للفظة (غزل)، ولا بد من وجود ارتباط بين هذه المعاني يجمع بينها في باب واحد، وإن اختلفت الغايات وتعددت السبل، ولابد أيضاً من وجود رابطة وثيقة بين (غَزل الصوف) و(مغازلة المرأة) و(غزال الظبية).

يقول الزجاجي: **((**أصل المغازلة: الإدارة والنقل الإدارة عن أمر ومنه سمي المغزل لاستدارته وسرعة دورانه،

وبه سمي الغزال لسرعته وسميت الشمس الغزالة لاستدارتها وسرعتها**))**.[[2]](#footnote-2)

الغزل في الاصطلاح: أجمع علماء اللغة على أن الغزل معناه التحدث إلى النساء والتودد إليهن، وذلك يتطلب من الرجل أن يتحدث إلى المرأة حديثاً مؤثراً جذاباً حتى يستميلها الى ودِّه، يستهويها الى حبه، ومن أجل تحقيق هذه الغاية يسلك شتى الوسائل، ويركب صعب الأمور، يختال إذا وصل بالحيلة إلى غايته، ويداري إذا نفعت المداراة، ويلين إليها ويهش بوجهه لها، ويتوسل إليها، لعل ذلك يغني من الأمر شيئًا، وهي تهجر حينًا وتصل حينًا آخر، وتتمنّع مرة، وتبدي التدلل مرة أخرى، يقول امرؤ القيس:[[3]](#footnote-3)

**أفاطم مهلاً بعض هذا الّتدّللِ وإن كنت قد أزمعتِ صرمي فأجملي**

وتتقلب بين فراق ولقاء، إذ لا تكاد تلقاه باسمة المحيا، فينعم بهذا الرضا، حتى تنقَلب عابسة الوجه مقطبة الجبين، فيشقى بهذا العبوس أضعاف ما نعم بأسباب الرضا والابتسام، يقول جرير:[[4]](#footnote-4)

**إن الذيــــن غدوا بلبَك غادروا وشَلاً بعينك ما يزال معيـــنا**

**غيضن من عبراتهن وقُلْن لي: ماذا لقيتَ من الهوى ولقينا**

إن هذا التقلب في المواقف، والشكل في الأمزجة يشبه المغزل في فتَله ودورانه، ويشبه الغزال في عدوه ونفوره الجامح، وإن التهلل بالبشر والإشراق في قدومها للقاء يشبه شروق الشمس، التي تتهلل بالنور والبشر، فنسعد بين الطلوع والمغيب كما نسعد بالمرأة التي نحبها إن رضيت، أو نشقى بها إن هجرت وتمنّعت.

# **نشأة الغزل العذري وتطوره:**

لطالما كان العربي محباً للفرح والطرب والسرور بفطرته وقد جاء ذلك نتيجة للبيئة التي يعيش فيها والحياة الاجتماعية التي تلقي عليه بطابعها الخاص فهو مرتاح البال ناعمه لا يشغله من أعباء الحياة ما قد يضعفه أو ينوء تحت أثقاله.

العربي صافي الطبع قوي العاطفة حاد المزاج ولا بد أن يجد ما يغذي طبعه الصافي ذاك ويقوي تلك العاطفة ويهدئ من حده مزاجه ولم يكن ذلك إلا بكتابة الشعر فهو شاعر بالفطرة يحاول دائماً أن يرقى بهذا الشعر إلى درجة رفيعة قريبة إلى النفس، تريح العقل وتغذي الروح وتعينه على ما قد يشغله من صعوبات الحياة الجاهلية فقد اتسمت الحياة الجاهلية في شبه الجزيرة العربية بالبداوة القائمة على التنقل والترحال بحثاً عن الماء والكلأ ولم يكن هذا التنقل مؤقتاً بل كان دائماً وأسلوب معيش ملازم للعربي وفي كل مكان تنتقل القبيلة إليه لا بد أن ينشأ فيه علاقات تعارف ومودة متبادلة نظراً لطبيعة العربي الودودة لكن هذه العلاقات ما تلبث أن تنتهي بثلة الماء والكلأ ليضطر العربي مجدداً إلى الانتقال والافتراق الذي لطالما نتج عنه سيادة أجواء الحنين واللوعة وذلك بسبب رهافة الأحاسيس العربية وتمنع المرأة والذي كان سبباً في شدة الوجد وزيادة في ألم الفراق وفرط الصبابة والشوق فترق لمرارته القلوب وتصرف إليه الوجوه وفي هذا يقول دريد بن الصمة:[[5]](#footnote-5)

**أرث جديد الحبل من أم معبــد بعاقبـة أم أخلفــت كــل موعد**

**وبانت ولم أحمد إليك جوارها ولم ترج منا ردة اليوم أو غد**

فالغزل شكل من أشكال التعبير عن اختلاجات النفس الإنسانية وعن المشاعر الفياضة التي تنبعث منها حين يمتلكها سلطان المحبة وتتأجج فيها العواطف فهو -الغزل-يصور أحوال النفس بما لا يستطيع أن يصورها غيره من الموضوعات لأنه يكشف عن دواخل المحب وسرائر المحبوب وينبع عن عاطفة صادقة وعميقة ولكن الطبيعة الإنسانية تتفاوت في التعبير عن المشاعر والعواطف فمنها ما تكون مشاعره ود صافية طاهرة نبيلة الأغراض والمرمى فيكون نتاجه ذلك اللون الصادق البريء العفيف من الغزل الذي تكون فيه المرأة مقصودة روحاً لا جسداً دون أن تكون للرغبات المادية أو الغرائز وجوداً أو أثراً فيه وهو الذي يطبق عليه اصطلاح (الغزل العذري) أو أن تكون معبرة عن غايات مادية صرف لإشباع الشهوات والتعبير عنها وهو الحب الذي تمتزج فيه الميول الشهوانية والعواطف الخالية من الحياء (التحرج).

فالغزل العذري تشع منه حرارة العاطفة وشدة الأشواق ويصور خلجات النفس وفرحة اللقاء وألم الفراق والرحيل ولا يحفل بجمال المحبوبة الجسدي بقدر ما يحفل بجاذبيتها وسحر نظراتها وقوة أسرها.

إضافة إلى أنه يقتصر على محبوبة واحدة طيلة حياته أو مدة طويلة منها فهو غزل نقي طاهر ممعن في النقاء والطهارة.

نسب هذا الشعر إلى بني عذرة لأن شعراء هده القبيلة أكثروا من التغني به ونظمه فهم إحدى قبائل العرب الشهيرة التي كانت تنزل في وادي القرى شمال الحجاز، عاصرت ما قبل الإسلام واستمرت إلى اليوم ممثلة في بطونها التي تمتد شمال الحجاز وسوريا وفلسطين والأردن ومصر والسودان وإليها ينسب طائفة من فحول الشعراء العرب وأشهرهم جميل بثينة وقيس ليلى وكثير عزة ......وغيرهم.

يروى أن سائلاً سأل رجلاً من هذه القبيلة: ممن أنت؟ قال: من قوم إذا عشقوا ماتوا فقال: عذري ورب الكعبة فمم ذاك؟؟ قال الأعرابي: في نسائنا صباحة وفي فتياننا عفة.[[6]](#footnote-6)

قد ترددت أخبار عشقهم فوصفوا بأنهم أشد خلق الله عشقاً وكانوا مضرب الأمثال في شدة الحب وصدقه وقد جمعوا إلى رقة القلوب وشدة العشق عفافاً وتحرجاَ من المآثم فكان حبهم عذرياً ولم يقتصر الحب العذري على قبيلة بني عذرة فقط فقد شاع أيضاً في بعض القبائل منها بنو عامر الذين سكنوا في أطراف نجد وظهر فيهم مجنون ليلى (قيس بن الملوح).

لم يكن العشق في تلك القبائل إلا عشقاً تحكمه روابط العفة وتحول دون انحرافه تقاليد سرت في تلك القبيلة، إذ لم يعرف بين عشاقها من خرج على حدود الطهر والعفة ومن ثم فقد نسب كل حب عفيف إلى بني عذره وقيل عن كل عشق نظيف أنه عشق عذري.[[7]](#footnote-7)

فإذا سألنا عن تعريف للغزل العذري وجدنا أنه هو المظهر الفني للعواطف المتعففة والملتهبة في آن معاً والتي وجدت في شعرها وغزلها ذلك خير ما يطفئ لهبها وتسمو به غرائزها فهو يتسم بالحرارة والديمومة والعفة المحضة وهذه السمات الثلاث تؤلق جوهرة وتقوم عليه ذاته فهو يجمع بين هذه السمات الثلاث في نفس بشرية واحدة تكون نتيجة اجتماعها في تلك النفس الأنين بلا علة والشكوى والتلوي إذ يكون الغزل العذري اعتصاراً لذلك كله على أن الحب العذري لا يقوم على الزهد المطلق في المتعة الحسية وإنما يقوم على أساس الصراع بين روحين يغالبان مطامع الأفئدة ومطامع الحواس.

## **الحب العذري معركة بين ميدانين:**

* **الأول:** ميدان للصراع بين الشاعر وهواه.
* **الثاني:** ميدان للقتال بين الشاعر ومن يهواه فهو في هذا الميدان لا يطارد فريسة تنال بأيسر الجهد وإنما يطارد ظبية عصماء لا تنال إلا باقتحام الأهوال فوق قمم الجبال.

ويرى الدكتور طه حسين أن الغزل العفيف المسمى في العصر الأموي بالغزل العذري أموي النشأة لم يألفه الجاهليون أو على الأقل لم يحسنوا فهمه ولا العناية به.[[8]](#footnote-8)

إلا أن الدكتور صلاح الدين الهادي رأي أن الغزل العذري كان ثمرة للقيم الأخلاقية والروحية التي يبثها الإسلام في البادية العربية والتي صنعت نفوس الشعراء العذريين وأحالت العشق فيها إلى البراءة والطهر والعفة.[[9]](#footnote-9)

قد تعددت الآراء حول تحديد نشأة العشر العربي إلا أن الباحث والمدقق يرى أن أية دراسة علمية للغزل العفيف في الأدب القديم لا تنكر أن الغزل الجاهلي عرف العفة في الكثير من نماذجه على الرغم من أن أغلبها كانت تمثل مقدمات القصائد والمعلقات الجاهلية التي عبر فيها شعراؤها عن أشواق الروح والاشتياق إلى روح المرأة أكثر من تعبيرهم عن الرغبة في المتعة المادية.

مع هذا فإن غزل الجاهليين والإسلاميين لا يكاد يختلف من حيث توجهه الروحي ولا أثر للنزوع الجسدي فيه غالباً إذ أن بعض ما قاله الشعراء مثل (عنترة بن شداد وعبد الله بن عجلان النهدي والمرقش الأكبر وعروة بن حرام وعبد الله بن علقمة العامري) يفيض بالوجد وتغمره الأحاسيس وتفصح عن الآلام وتعرف عن الوفاء الخالص والمعاناة الشديدة للحب وكذلك ما يلاقونه من عنت الحب بسبب ما يجد الشعراء في محبوباتهم من روعة الحسن الذي يمنع النفس والعين وقد كان عنترة بن شداد واحداً من الذين عانوا في حبهم إذ قال واصفاً ابنة عمه عبلة:[[10]](#footnote-10)

**رمـت الفؤاد مليحـة عذراء بسهـــامِ لحــظٍ، ما لهن دواء**

**مرت أوان العيد بين نواهدٍ مثل الشموسِ كأنهن ظبـــــاء**

**فاغتـالني سقَمِـي الـذي في باطني أخْفَيته فأذاعه الإخفاء**

ويقول عبد الله بن عجلان النهدي في هند التي لطالما بكاها حتى مات حزناً بسبب فراقها بعد أن أرغمه أبوه على طلاقها: [[11]](#footnote-11)

**ألا أبلغا هنداً سلامي فإن نـــأت فقلبي مذ شطّت بها الدار مدنَفُ**

**ولم أر هنداً بعد موقفِ ســـاعةٍ بأنعم في أهــلِ الديـــار تطـــوفُ**

**أتتْ بين أترابٍ تمايس إذ مشَتْ دبيـــب القطـا أوهن منهن أقطفُ**

ويقول المرقش الأكبر في أسماء التي مات في حبها:[[12]](#footnote-12)

**أغالِبك القلـــب الّلجوج صبابـــةً وشوقًاً الى أسماء أم أنت غالبه**

**يهيـــم ولا يعيـــا بأسمـــاء قُلْبه كذلك الهوى إمراره وعواقِبـــه**

إلى أن يقول:

**وأسماءهم النفسِ إن كنت عالماً وبـادي أحاديـــثِ الفؤادِ وغالِبــــه**

**إذا ذكَرتْهـــا النفس ظلــت كأنني يزعزِعني قفقــاف وِردٍ وصالبـــه**

ويقول عروة بن حزام صاحب عفراء واصفاً حاله بسبب حبه لها:[[13]](#footnote-13)

**بنا من جوى الأحزان في الصدر لوعة تكاد لها نفس الشفيع تذوب**

**ولكنمــا أبقى حشـــاشــة معــول على مــآبه عــود هناك صليــــــب**

إن العاطفة الحارة الملتاعة التي كان يغذيها الحرمان عبر عنها شعراء الحب العذري بطرقهم وكان أسلوب النداء

(يا رب) من الأساليب التي طالما رددها الشعراء العذريون في العصر الأموي ويقول عروة بن حزام في حبه لعفراء:[[14]](#footnote-14)

**تحملت من عفراء ما ليس لي به ولا للجبـــال الراسيـــات يــدان**

**فيا رب أنت المستعان على الذي تحملت من عفــراء بعد زمــان**

**كـــأن قطـــاة علقـــت بجناحهـــا على كبــدي من شدة الخفقـــان**

## **أسباب شيوع هذا النوع من الغزل:**

* أن الإسلام طهر النفوس وبرئها من كل إثم.
* أن سكان البوادي عاشوا معيش فقيرة فيها شطط العيش وقسوة الحياة في مجتمعهم الرعوي.
* لم يهتم خلفاء بنو أمية بإمداد هذه البوادي بالأموال والعطايا والجواري والرقيق كما فعلوا مع مدن الحجاز حيث لم يكن في هذه البوادي أبناء الصحابة والمهاجرين ممن يخافون منهم على الخلافة.
* لم تكن سبل اللهو وأبوبه مفتوحة أمام شباب البادية ذوي النفوس الساذجة التي لم تعرف الحياة المتحضرة في المدن.

**معنى هذا أن مجتمع البادية في هذا العصر تخلص من شيئين:**

* من روح الجاهلية القديمة في حياته الدينية والخلقية.
* من روح العصر الجديد في حياته الاجتماعية والسياسية.

**فخلص له شيئان:**

* خلصت له روح الإسلام الجديدة في بعض جوانب حياته.
* خلصت له روح البداوة الموروثة في بعضها الآخر.

والغزل العذري هو أحد الأنماط الثلاثة التي كانت تعبر عن أوضاع اجتماعية ونزاعات مقابلة مثلتها ودلت عليها إذ يعبر عن وضع طائفة من المسلمين كانت تتحرج وتذهب مذهب التقي وتؤثر السلامة والعافية على المغامرة والمخاطرة وقد آثرت هذه الطائفة أن تعدل عن الشهوات وتلتزم التربية الإسلامية سمواً أو تعالياً على تلك الشهوات.

لقد حاول الشاعر العذري المحب أن يرفع محبوبته إلى مكان يليق بالحب الذي أجهد نفسه من أجله فجميل مثلاً لا يكتفي بتشبيه صاحبته بالبدر بل يخبرنا أن الله فضلها إذ اختصها بحسن فريد بين الناس مثلما خص ليلة القدر-بتفضيلها عن باقي الليالي-وذلك ينم عن روح إسلامية ويدل على ثقافة تتمثل في استعمال الألفاظ والمعاني القرآنية الإسلامية إذ يقول:[[15]](#footnote-15)

**هي البدر حسناً والنساء كواكــــب وشتان ما بين الكوكب والبـــدر**

**لقد فضلت حسناً على الناس مثلما على ألف شهر فضلت ليلة القدر**

كما يبدي شوقه ولهفته إلى الاقتراب من محبوبته إذ أن لقياها يطفئ لهيب الشوق ويؤججه فراقها فيقول:[[16]](#footnote-16)

**يموت الهوى مني إذا مــا لقيتهـــا ويحيــــا إذا فــارقتهــــا فيعــود**

أما كثير عزة فيدخل صاحبته في مسابقة مع الشمس لاختيار ملكة جماله ويجعل لذلك حكماً عادلاً فيختارها على الشمس ويفضح بعض الوشاة الذين يحاولون التفريق بينه وبينها ويدعو الله أن يجعل خدود هؤلاء الوشاة تحت أقدامها فيقول:[[17]](#footnote-17)

**لو أن عزة خاصمت شمس الضحى فالحسن عند موفق لقضى لها**

**وسعى إلـــــي بصرم عزة نســــوة جعل المليـــــك خدودهن نعالها**

أما مجنون ليلى فيجعل مسكن صاحبته في المكان العالي الذي يشرف كما الشمس على الخلائق وتسكن السماء العالية فيقول:[[18]](#footnote-18)

**فقالـــوا: أين مسكنهـــــا ومن هي فقلت: الشمس تسكنها السماء**

كما يبدو أن الحبيبة التي وصفها الشعراء بالجمال وبالظرف والعذوبة وحلاوة الحديث إضافة إلى ما تتمتع به من دلال لا بد أن تتبوأ المكانة العالية في دنيا الحب إذ رسم لها الشاعر العذري شمائل تميزها عن باقي النساء جاعلاً منها قوة روحية تمتلك مسالك ظلاله وتتمكن من مذاهب هواه فهي عنده أمنع من الظبية الصماء وأبعد من نجم السماء وهي عنده أيضاً مثال رائع وكامل لا تخترقه الأوهام ولا الظنون فكأنها جنية بثياب امرأة سلبت عقله وسلبت لبه بلا ترفق ولا استبقاء.

ويرى المستشرق الألماني (ولهام آلمورت): ((أنه لولا المرأة والحب لما كان ثمة شعر على أن هذا الشعر من غاياته: تحرير الروح لا من العاطفة والشعور بل في العاطفة والشعور وأن ما للهوى إلا سلطان غاشم فرده إلى النفس وسهل قيادته لها في غفلة عنها))[[19]](#footnote-19).

من هنا أثارت المرأة عاطفة الشعراء بمجموعهم لأنها موضوع شريف يرتبط بالروح والعاطفة فقالوا ما كانوا يتمنون أن تقوله هي عن نفسها ولهذا لا يستطيع الشاعر العذري الاستمرار بالعيش من دون محبوبته وكأن لا شيء في الحياة بقادر عن تعويضه عن هذا الحب.

# **سمات الشاعر العذري:**

يلاحظ على الشاعر العذري في العصر الأموي شدة الهوى الملازم للقلب، والجوى والصبابة والخلة والكلف والعشق والشغف والتيم والتبل والدله والهيام، وبناء على ذلك فإن الشعر العذري يتسم بالوفاء لامرأة واحدة حتى النفس الأخير، وقصر الشعر عليها دون سواها، والتضحية بكل غال ونفيس على الرغم من والهجر، والبوح بخلجات النفس، إذ أن الآم الشاعر محور شعره، ويلاحظ أن الشاعر العذري يجد في الألم مصدر وحي لشعره.

ولذلك كان أكثر شعراء الغزل العذري قد اقترنت أسماؤهم بأسماء صويحباتهم، فيقال؛ مجنون ليلى، وكثير عزة، وقيس لبنى، وعروة وعفراء، وجميل بثينة وهو أنسب الأربعة وأشار إلى ذلك ابن الفارض بقوله:[[20]](#footnote-20)

**بها قيس لبنى هام بكل عاشــــــق كمجنــون ليلـــــى أو كثيــر عزة**

ومن الشعراء من اشتهر باسمه المجرد من الارتباط باسم صاحبته، مثل، توبة بن الحمير صاحب ليلى الأخيلية، ونصيب بن رباح، الذي تعلق بامرأة تدعى أم بكر، وأبو صخر الهذلي الذي تعلق بامرأة من قضاعة تدعى أم حكيم، والصمة بن عبد الله القشيري صاحب ريا وغيرهم ممن اشتهروا في تأريخ الحركة العذرية في العصر الأموي، وهؤلاء أكثر ما وصل إلينا نتاجهم الشعري، يقول جميل بثينة مشيراً إلى قصة لقائه الأول بها:[[21]](#footnote-21)

**وأول ما قــــاد المودة بيننـــــــــا بوادي بغيــــض يـــا بثيـن سباب**

**وقلنا لهــــــا قولاً، فجاءت بمثله لكــــل كلام يــــــا بثيـــــن جـواب**

ويتحدث مجنون ليلى عن مكابداته للهوى والشوق إلى ليلى نافياً عن نفسه تهمة عدم حبها والإخلاص لها والوفاء بهذا الحب، يقول:[[22]](#footnote-22)

**تداويت من ليلى بليلى عن الهوى كما يتداوى شارب الخمر بالخمر**

**إلا زعمت ليلى بان لا أحبها بلــى والليالي العشر والشفع والوتــــر**

**إذا ذكرت ليلى أسر بذكرها كمــــا انتفض العصفور من بلل القطـــر**

أما قيس بن ذريح صاحب لبنى، فيبث شكواه، ولوعته وحرق الوجد بسبب حبه للبنى إلى الله، فحزنه محرق، وليله طويل وسعادته بتذكر الأيام الخوالي، يقول:[[23]](#footnote-23)

**إلى الله أشكو ما ألاقي من الهوى ومن حرق تعتادنـــــي وزفيــــر**

**ومن حرق للحب في باطن الحشا وليل طويل الحزن غير قصيــــر**

ويدعو كثير عزة رفيقيه إلى عقل ناقتيهما حينما يمرون بربع كانت تقيم فيه عزة، ويدعوهما الى البكاء توجعاً وشوقاً وحسرة مشاركة منها له في الوجد، وذلك تشبهاً بقول متمم بن النويرة في رثائه لأخيه، بقول:[[24]](#footnote-24)

**ولأوجــــد أظئــــار ثلاث روائـــم رأين مجراً من حوار ومصرعا**

**يذكرن ذا البــــــث القديــــم بدائه إذا حنت الاولى سجعن لها معا**

ويدعوهما إلى مس التراب إذا كان يلامس جلدها، لأن ذلك المس يشبه الطواف الذي قد يمحو الله به الذنوب وأن يختما طوافهما بالصلاة، وهذا التصوير في رأي البحث غير مرغوب فيه، لأنه تصوير في غير موضعه، فهو في موضع التذكر والشوق والحسرة على فراق محبوبته، وليس في موضع الطواف أو موسم الحج، فالمعنى فيه جفاء، وهو من مبالغات مديحه التي كثيرا ما أخذه عليها العلماء. يقول كثير:[[25]](#footnote-25)

**خليلي هذا ربع عزة فاعقــــــــلا قلوصيكما ثم ابكيا حيــث حلـت**

**ومسا ترابا كان قد مس جلدهـــا وبيتا وظلا حيث باتت وظلــــت**

**وما كنت أدري قبل عزة ما البكا ولا موجعات القلب حيث حلــت**

# **اتجاهات الغزل العذري وبواعثه:**

إن اتجاهات الغزل الذي عرف بالعذري، كانت تتمثل بشعر عدد من الشعراء، الذين عاشوا جميعاً في عصر واحد وفي زمن واحد، هو العصر الأموي، وتنقلوا في بيئة واحدة أو بيئات متقاربة تمثلت بالوديان والهضاب الخصبة بالحجاز، المتداخلة مع بوادي نجد، التي على تماس معها فإن كل شاعر من الشعراء العذريين كان يطمع وبلا شك أن تبلغ علاقته بصاحبته غايتها المشروعة التي يقرها الدين والمجتمع بيد أننا نجد المجتمع يقف في وجه هذه العلاقة، فيضع في طريقها العراقيل، ويقيم بوجهها الحواجز والسدود مما يجعل الشاعر العاشق العذري طريد الأهل، وقد يكون أحيانا مهدداً الأهل والسلطة، لا يستطيع رؤية صاحبته بسبب التربص به.[[26]](#footnote-26)

إن الغزل العذري، يعد ظاهرة أدبية وفنية في العصر الأموي، ليس بسبب ظهوره بهذا المستوى في أزمنة وأماكن أخرى، وإنما الذي ظهر في الحجاز في العصر الأموي كان يشكل ظاهرة واسعة لم تقتصر على الشعراء فحسب بل امتدت إلى قلوب الناس، ويبدو أن من بين العوامل التي ساعدت على ذلك هو الدعم الاجتماعي والسياسي لشعراء هذا الفن.

## **الاتجاه التقليدي:**

لعل الحديث عن الحب بشكل عام يحتاج إلى الفصل بين حب الروح الذي يندرج تحته الحب العذري العفيف، وحب الجسد، الذي يعني التفكير بإشباع الرغبات الجسدية والحسية، فالأول معنوي روحي، والثاني مادي حسي. ولابد من القول إن الروح والمعنى الروحي باقيان خالدان، وإن الجسد والمعنى الحسي فانيان زائلان، فالشعراء والعشاق ((العذريون هم هؤلاء الذين دعاهم الجمال، وأغرتهم اللذائذ، وثارت في نفوسهم الشهوات، ولكنهم انعتقوا من هذه الشهوات، وانصرفوا عن اللذائذ، وتحصنوا بالعفة، ولذلك لم يخشوا أن يعبروا عن عواطفهم هذه ما دامت البراءة تكسوها، والعفة تملؤها فانطلقوا يغنون عواطفهم وينشدون آلامهم وآمالهم)).

إن هذه العاطفة العذرية، هي مكابدة روحية ذات قيمة إنسانية سامية، بيد أنها تتحول إلى عاطفة مرضية حادة بسبب الحرمان والقهر، تستنزف طاقة العاشق، وقد تقعده أحياناً عن أي نشاط إنساني خارجي.

أما ما يلاحظ من تشابه في أشعار العذريين عامة، فبسبب حدوث قصة العشق عندهم في أطر محددة، وقيامها على نمط مألوف في حياة هؤلاء الشعراء العشاق، مما انعكس على خصائص أشعارهم في تشابه المعاني وعناصر تجاربهم، مما نتج عنه اختلاط الكثير من أشعارهم بعضها البعض، وإقحام بعض الأبيات على قصيدة لشاعر آخر، ووجود اختلاط في نسبة بعضها، يقول مجنون ليلى في المكابدة الروحية والجسدية:[[27]](#footnote-27)

**أقول لأصحابي هي الشمس ضوءها قريـــــب ولكن في تناولهــــا بعد**

**لقد عارضتنـــا الريــــح منها بنفحة على كبدي من طيب أرواحها برد**

**فما زلـــت مغشيًا علــي وقد مضـت انـــاة ومـا عندي جـــواب ولا رد**

**أقلــــب بالأيـــــدي وأهلــــي بودهم يغدونني لو يستطيعون أن يغدوا**

## **الاتجاه النفسي:**

واجه علماء النفس مهمة صعبة في سبيل إيجاد تعريف الحب وتحديد ماهيته، من خلال البحث عن مصادره، واختلفوا في ذلك، إذ رأى بعضهم أنه انفعال، ووسيلة فعالة للمشاركة في وجود الآخرين، ومنهم من يراه معرفة تدرك بواسطتها ماهية وجوهر الآخر.

ويرى فرويد أن الألفة والحب يمثلان غريزة الحياة التي تقابلها غريزة الموت، ويرى أن هناك غريزتين أساسيتين في الإنسان تتصادمان وتتعارضان معها غريزة الجوع، وغريزة الحب، تهدف الأولى إلى حفظ النفس وديمومة حياتها، وهي تمثل الجانب المادي في الحياة، في حين تهدف الثانية إلى حفظ النوع، وهي تمثل الجانب المعنوي في الحياة[[28]](#footnote-28)، فغريزة الجنس التي تمثل الجانب المادي في حياة الإنسان وإن من دواعي الاستثارة في الشاعر العذري وهو يعبر عما يحس بفقدانه هو الحرمان من المرأة وإن هذا الحرمان والعناء هو بمثابة الجذوة التي تؤجج التجربة الشعرية عند الشاعر العذري، ولهذا كان شاعر الحب العذري دائم العطاء يذوب في عطائه صوت الأنا المادي، ويتوحد في قيمة إنسانية تمثل أعلى صور التضحية والمكابدة من أجل الروح، فهي صراع بين الروح والمادة، ولهذا نجد الجهاد عند جميل بثينة، جهاد الحب، يقول:[[29]](#footnote-29)

**يقولـــــون جــــاهد يا جميــل وأي جهـــــاد غيــــــرهن أريـــــد**

ويصف شوقه الى صاحبته بشوق إدريس النبي عليه السلام الى جنة الخلد، يقول جميل:[[30]](#footnote-30)

**وإني لمشتاق إلى ريح جيبها كما اشتاق إدريس الى جنة الخلد**

ويبدو أن له مع بثينة ما يشغله عن الجهاد، وفوق ذلك فهو يعد حبه لها جهاداً يثاب عليه بالشهادة، في حين يشير البيت الثاني إلى معنى خفي يحمل نزوعاً جنسياً مقيداً بالأعراف والتقاليد، ويشير فرويد إلى إنه ليس من الغريب على هذه المدرسة النفسية أن تجعل من دوافع الحب العذري الدافع الجنسي، لأنها عرفت بربطها لجميع

الأحداث والوقائع والفنون والظواهر بالعامل الجنسي.[[31]](#footnote-31)

## **الاتجاه الاجتماعي:**

إن سر الحياة ينطوي في طيات اتحاد الرجل والمرأة في ظل رابطة الألفة والمودة، وإن استمرار الجنس البشري وديمومته هو نتيجة من نتائج الحب، المتمثل بتواصل النسل وديمومة الحياة، وتحقيق رغبة الإنسان الجامحة نحو الخلود، وترى الدكتورة نوال السعداوي؛ إن الحب يعد من أرقى العمليات الإنسانية الاجتماعية التي يمارسها الإنسان، إذ من خلاله تستطيع مكوناته النفسية والعقلية والجسمية أن تمارس الوظائف وأعمقها تغلغلاً في كيانه على أن ثنائية العشق والشرف تشكلان أساس سلوكية الإنسان الاجتماعية وإن علاقة الشعر والشاعر بالحياة الاجتماعية كانت موضع اهتمام المفكرين منذ أفلاطون ومن الجدير بالذكر أن ظاهرة الغزل العذري شكلت بداياتها في العصر الجاهلي عند الشاعر عبدالله بن العجلان ،الذي قال عنه بلاشير: (( هذا الشخص جدير بالاعتبار لأننا نستشف من خلاله تجلي شاعر حقيقي ، وتحوله إلى بطل رواية الحب العذري))[[32]](#footnote-32)، ومن أمثلة شعره قوله:[[33]](#footnote-33)

**فارقت هنداً طائعــاً فندمت عند فراقها**

**فالعين تذري دمعة كالدر من آماقهـــا**

إن الحب العذري تبعاً لما تقدم تجربة إنسانية فاعلة رائعة، كانت من أهم نتائجها، أن خلقت قيماً جديدة في الحب ومفاهيم جديدة، ولغة شعرية، يمكن أن تتحقق في كل زمان ومكان، لأنها ترتبط باستعدادات نفسية وروحية، وإن الحب العذري استمرار للروح العذرية التي ازدادت عمقا وانتشاراً بعد ظهور الإسلام، وهو مظهر من مظاهر الأصالة العربية.

# **الفرق بين هذا الغزل والغزل الحسي الكبير:**

* في ھذا الغزل العذري العفيف يتحدث الشاعر عن مشاعر الحب الكريمة التي تنشأ بين الرجل والمرأة، وتغلب فيه نوازع الروح على نوازع الجسد.
* يتعلق فيه العاشق بمحبوبة واحدة تحقق له متعة الروح ورضاء النفس واستقرار العاطفة.
* قد عرف أصحاب ھذا الحب بالعفة والطهر والشرف والنزاهة والبعد عن الفحش والادعاء وعما لا يليق بشرف الفتاة البدوية المسلمة.

فهذا جميل مثل العاشقين العذريين يقرر أنه لم يرتكب جرماً قط يعاقب عليه الإسلام. قال عباس بن سهل الساعدي:

لقيني رجل من أصحابي فقال: ھل لك في جميل فإنه يعتل نعوده؟ فدخلنا فنظر إليّ وقال: يا ابن سهل، ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يقتل نفساً ولم يسرق يشهد أن لا إله إلا لله وأن محمداً رسول لله؟ قلت أظنه قد نجا أرجو له الجنة، فمن ھذا الرجل؟ قال: أنا، قلت فماذا عن بثينة؟ قال: لا نالتني شفاعة محمد – صلى لله عليه وسلم – إن كنت وضعت يدي عليها لريبة. وفي ھذا يقول جميل:[[34]](#footnote-34)

**وإني لأرضى من بثينة بالذي لو أبصره الواشي لقرت بلابلــه**

**بلا وبأن لا أستطيع وبالمُنـى وبالأمل المرجو قد خاب آملــــه**

**وبالنظرة العجلــــى وبالحولُ تنقضي أواخره لا نلتقي وأوائله**

# **الخصائص الفنية في شعر الغزل العذري:**

يقترب الغزل العذري من الغزل الحضري الحسي، من حيث البناء الفني للعمل الشعري، إذ تتحقق لكل منهما:

* **الوحدة الموضوعية في سائر القصيدة:** أكثر مما تتحقق في كثير من القصائد في الشعر الجاهلي والإسلامي، عند غير شعراء الغزل الحجازي بنوعيه العذري والحسي فقصائد ھؤلاء الشعراء تقتصر على الغزل دون الخروج إلى موضوع آخر، لأن ھؤلاء الشعراء قد عاشوا مخلصين لحبهم فأفردوا له قصائدهم. وفي دواوينهم فقط بعض مقطوعات في الهجاء أو الفخر أو المدح.
* **العناية بالعاطفة والحرص على تمثيلها:** فإن القصيدة فيه تصور عواطف مجردة في العشق، وتعبر عن حالات شعورية متجانسة أو متقاربة، تمثل الحرمان والشوق، وتصور الآلام والذكريات الحزينة المحرومة، وحالات الوجد واللوعة، مما يكسو القصيدة أو المقطوعة العذرية ثوب الانسجام الشعوري تظهر فيه المشاعر مترابطة متعانقة، لتحقق لها وحدة فنية واضحة في جوها العام.
* **شيوع العاطفة الرومنسية الحزينة الحالمة:** ويمثل ھذه الرومنسية قول المجنون يناجي صاحبته:

**فأنتِ التي إن شئتِ أشقيت عيشتي وإن شئت بعد لله عَمْتِ اللياليــا**

**وأنتِ التي ما من صديق ولا عــدا يرى نضو ما أبقيت إلا رثى ليا**

**أعدُّ الليالـــي ليلــــةً بعدَ ليلــــــــة وقد عشتُ دھراً لا أعدُّ اللياليـا**

* **سهولة الألفاظ وجمال الأسلوب:** فألفاظه سھلة لا تعسف فيها ولا تكلّف، والتراكيب تساير سهولة الألفاظ بلا تكلّف ولا التواء، مع متانة وجزالة بدوية.
* **الروحانية الشفافة الصافية:** بحيث يتضح فيه أثر الإسلام، ففيه التسامي وفيه الروحانية؛ لأنه نشأ في مجتمع أشرب لإسلام واختمرت فيه روحه. ومن ذلك قول المجنون:[[35]](#footnote-35)

**حلفتُ بمن صلـتّ قريـــــشٌ وجمّــــَرت له بمنــــى يــــوم الإفاضــــة والنحر**

**وما حلقـــــــوا من رأسِ كـــلِّ ملبـــــئٍ صبيحة عشر قد مضين من الشـــھر**

**لقد أصبحت منـــي حصـــــاناً بريئـــــةً مطهرة ليلـى من الفحــــش والنكــــر**

إن ظاهرة المقطوعات، أو القصائد القصيرة العذرية تكاد تطرد وأن اطرادها يعد مخالفة جديدة لطبيعة القصيدة العربية القديمة وهذا لا ينفي بطبيعة الحال وجود المقطوعات أو القصائد القصيرة في القصيدة العربية القديمة بعصريها الجاهلي والإسلامي، ولكنها لا تأخذ هذه المساحة الواسعة التي أخذتها في قصائد الغزل العذري وهذه مقطوعة أو قصيدة قصيرة لجميل بثينة، تعالج معاني الشوق واللهفة، والوفاء الصادق، يقول جميل: [[36]](#footnote-36)

**ألا هل إلى المامـــة أن ألمهــــــــا بثينــــة يوماً في الحياة سبيل**

**فإن هي قالت: لا ســـبيل فقل لها: عناء على العذري منك طويل**

**ألا لا أبالـــي جفوة الناس، أن بدا لنا منك رأي، يا بثين جميـــل**

**ومالم تطيعي كاشــــحاً، أو تبدلـي بنا بدلاً، أو كان منك ذحـــول**

**وأن صبابــــاتي بكــــــم لكثيــــرة بثين، ونســــيانيكم لقليـــــــل**

**يقيك جميل كل ســـــوء، أمالـــــه لديك حديث، أو إليك رســـول**

**وقد قلت في حبي لكم وصبابـــتي محاسن شعر، ذكرهن يطــول**

**فما غاب عن عيني خيــالك لحظة ولا زال عنها، والخيال يزول**

ومن الخصائص الفنية في الشعر العذري بعامة ولاسيما الأموي نهوضه بتطوير المعجم الشعري، إذ كانت تجاربهم الشعرية العاطفية المباشرة، المعتمدة على الألفاظ ذات الدلالات الشعورية القوية المتأججة، والطاقة الانفعالية الواضحة، كما نجد شعراء الغزل العذري قد جنحوا إلى بساطة العبارة الواضحة، التي تعكس بساطة تجاربهم ووضوحها.

كما نجدهم قد اعتمدوا على الألفاظ العاطفية الموحية، والانفعالية الشديدة التأثير، التي نظموا منها عباراتهم الشعرية، مما أكسب شعرهم مذاقاً خاصاً، ونكهة متفردة، وأعطته قيمة فنية ولغوية، انماروا بها عن سابقيهم ومعاصريهم.

# **الخاتمة:**

لقد تعددت المدارس الأدبية وشاعت فنون الشعر وألوانه على مر العصور ويعتبر الغزل العذري من ألمع الأشعار الوجدانية التي تركت بصمات على جدار تاريخ الأدب لذلك ومن خلال هذا البحث يمكن الاطلاع على مضمون هذا الغزل وتاريخه والتعرف على خصائصه وعلى المشاعر الوجدانية التي يتركها في نفس الشاعر فلقد حظي الشعر الغزلي العذري على مر الأزمنة بجمهور عظيم ولقي إقبالاً كبيراً من قبل الشعراء والمستمتعين لعفته وطهارته وإيقاعه العذب على مسامع الآذان، لذلك دام هذا النوع من الشعر وحافظ على شعبيته مع تواتر السنين والعقود لدرجة أنه ما زال شائعاً ليومنا هذا، حتى أن بعض الشعراء قد تخصصوا في كتابة الشعر الغزلي، لقدر ما يوحي بأحاسيس الشاعر ويعبر عنها بطريقة لبقة ومحببة لدى القراء والجماهير.

# **المراجع والمصادر:**

* اتجاهات الشعر في العصر الأموي: د. صلاح الدين الهادي الطبعة الأولى القاهرة ١٩٨٦.
* تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي د. شوقي ضيف. نشر دار المعارف بمصر الطبعة السادسة عشرة ١٩٩٦.
* تاريخ الأدب العربي: بلاشير: ترجمة: د. إبراهيم الكيلاني منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٣ م.
* تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام: د. شكري فيصل نشر: دار العلم للملايين بيروت الطبعة الخامسة ١٩٧١ م.
* ديوان جرير: شرح وتقديم غريد الشيخ. نشر مؤسسة الإعلامي للمطبوعات، بيروت. الطبعة الأولى

١٤٢٠ ه / ١٩٩٩ م.

* ديوان عنترة بن شداد تحقيق خليل شرف الدين، نشر مكتبة الهلال، الطبعة الأولى بيروت ١٩٨٨ م.
* ديوان عنترة بن شداد، تحقيق فوزي عطوي نشر الشركة اللبنانية للكتاب بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٦ م.
* ديوان كثير عزة: تحقيق د. إحسان عباس. نشر دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٩٧١ م.
* ديوان مجنون ليلى: شرح عدنان زكي درويش نشر دار الثقافة بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٤ م.
* شرح ديوان جميل بثينة: شرح محمد مهدي ناصر الدين نشر دار بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٨٧ م.
* عمر بن أبي ربيعة وفصل في تطور الغزل والنسيب في الشعر العربي عمر فروخ. نشر دار لبنان للطباعة بيروت ١٩٨٣ م.
* الغزل عند العرب: حسان أبو رحاب الطبعة الأولى القاهرة ١٩٧٤ م.
* الغزل في العصر الجاهلي: د. أحمد الحوفي الطبعة الثالثة ١٩٧٢ م.
* الغزل العذري: يوسف اليوسف نشر دار الحقائق الجزائر الطبعة الثانية ١٩٨٢ م.
* معالم التحليل النفسي: سيجمند فرويد، إشراف د. محمد عثمان نجاتي نشر دار بيروت، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٩٨٣ م.
* مقالات في الشعر الجاهلي: د. يوسف اليوسف نشر دار الحقائق الجزائر الطبعة الثالثة ١٩٨٣ م.

الفهرس:

[المقدمة: 1](#_Toc433223052)

[معنى الغزل: 2](#_Toc433223053)

[نشأة الغزل العذري وتطوره: 3](#_Toc433223054)

[**الحب العذري معركة بين ميدانين:** **5**](#_Toc433223055)

[**أسباب شيوع هذا النوع من الغزل:** **6**](#_Toc433223056)

[سمات الشاعر العذري: 8](#_Toc433223057)

[اتجاهات الغزل العذري وبواعثه: 10](#_Toc433223058)

[ **الاتجاه التقليدي:** **10**](#_Toc433223059)

[ **الاتجاه النفسي:** **11**](#_Toc433223060)

[ **الاتجاه الاجتماعي:** **12**](#_Toc433223061)

[الفرق بين هذا الغزل والغزل الحسي الكبير: 13](#_Toc433223062)

[الخصائص الفنية في شعر الغزل العذري: 13](#_Toc433223063)

[الخاتمة: 15](#_Toc433223064)

[المراجع والمصادر: 16](#_Toc433223065)

1. ينظر: جامع الدروس العربية 1/211 وينظر اللسان: (غزل) [↑](#footnote-ref-1)
2. المخصص لابن سيده 54 [↑](#footnote-ref-2)
3. شرح القصائد السبع: الزوزني 12 [↑](#footnote-ref-3)
4. ديوان جرير: غريد الشيخ 480 [↑](#footnote-ref-4)
5. الغزل العذري عند العرب: 13 [↑](#footnote-ref-5)
6. تاريخ الأدب العربي، العصر الإسلامي 359 [↑](#footnote-ref-6)
7. رحلة الشعر من الأموية إلى العباسية: د. مصطفى الشكعة: 163 [↑](#footnote-ref-7)
8. حديث الأربعاء: 1/183 [↑](#footnote-ref-8)
9. اتجاهات الشعر في العصر الأموي: 430 [↑](#footnote-ref-9)
10. ديوانه: تحقيق قوزي عطوي: 21 [↑](#footnote-ref-10)
11. الأغاني: تحقيق سمير جابر: 22/245 [↑](#footnote-ref-11)
12. الأغاني: تحقيق سمير جابر: 6/143 [↑](#footnote-ref-12)
13. الأغاني: تحقيق سمير جابر: 24/137 [↑](#footnote-ref-13)
14. الأغاني: تحقيق سمير جابر: 24/131 [↑](#footnote-ref-14)
15. تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام: شكري الفيصل: 282 [↑](#footnote-ref-15)
16. ديوان جميل بثينة: 27 [↑](#footnote-ref-16)
17. ديوان كثير عزة: 394 [↑](#footnote-ref-17)
18. ديوان مجنون ليلى: شرح: 21 [↑](#footnote-ref-18)
19. فن الشعر: هيغل: ترجمة جورج طرابيشي: 230 [↑](#footnote-ref-19)
20. شعر ابن الفارض: 117 [↑](#footnote-ref-20)
21. شرح ديوانه: 13 [↑](#footnote-ref-21)
22. ديوانه: 120 [↑](#footnote-ref-22)
23. قيس ولبنى شعر ودراسة: 100 [↑](#footnote-ref-23)
24. الشعر والشعراء: 1/338 [↑](#footnote-ref-24)
25. ديوانه: 95 [↑](#footnote-ref-25)
26. اتجاهات الشعر في العصر الأموي: 446 [↑](#footnote-ref-26)
27. ديوانه: 67 [↑](#footnote-ref-27)
28. ما فوق مبدأ اللذة: 38 [↑](#footnote-ref-28)
29. شرح ديوان جميل بثينة: 27 [↑](#footnote-ref-29)
30. شرح ديوان جميل بثينة: 31 [↑](#footnote-ref-30)
31. معالم التحليل النفسي: 32-37 [↑](#footnote-ref-31)
32. تاريخ الأدب العربي: بلاشير: ترجمة: إبراهيم الكيلاني: 2/72-73 [↑](#footnote-ref-32)
33. الأغاني: 22/239 [↑](#footnote-ref-33)
34. ديوانه: 76 [↑](#footnote-ref-34)
35. ديوانه: 89 [↑](#footnote-ref-35)
36. ديوانه: 68-66 [↑](#footnote-ref-36)